آليات اشتغال الاستعارة العرفنيّة من منظور لايكوف وفوكونيي

Mechanisms of operating customary metaphor from the prespective of Lycov and Fukuniyi

د. عبد الدايم عبد الرحمان[1]

Abdeddaim Abderrahmane

جامعة البويرة

University of bouira

nacerabderrahmane@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019/10/20 تاريخ القبول: 2019/11/13 تاريخ النشر: 2020/03/22

ملخص:

اتجه اهتمام اللسانيات العرفنية صوب ظاهرتي الاستعارة والمجاز المرسل لأنّه انتهى بالمنظرين للغة والعرفن إلى الإقرار بأنه لا يكتمل فهم اللغة والقدرات اللسانية دون تمثل واضح للمجاز. من هذا المنطلق تسعى هذه الدراسة الموسومة ب :" آليات اشتغال الاستعارة العرفنيّة من منظور لايكوف وفوكونيي" إلى البحث في آليات اشتغال الاستعارة العرفنية من منظور العالمين الكبيرين لايكوف وفوكونيي، بتحديد أنواع الاستعارات عندهما، والأبعاد التجريبية في الاستعارة، وكيفية اشتغال الاستعارة.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة، العرفان، اللسانيات العرفنية، الاستعارة العرفنية، لايكوف، فوكونيي.

Abstract: The attention of customary linguistics has moved towards metaphors and metaphor because it ended with theorists of language and gratitude to recognize that the understanding of linguistic language and abilities is not complete without a clear representation of metaphor.This study, entitled " Mechanisms of customary metaphor from the perspective of Lycov and Fukuniyi " seeks to investigate the mechanisms of customary metaphor from the perspective of the two words, Lycov and Fukuniyi, by indentifying their types of metaphor, the experimental dimensions of metaphor, and how metaphor works.

Keywords: metaphor; gratitude; customary linguistics; customary metaphor; Lycov; Fukuniyi

[1]- **المؤلف المرسل:** د. عبد الدايم عبد الرحمان، **الإيميل:** nacerabderrahmane@yahoo.fr

.مقدمة:

يُعتبر التيار العرفني تيّار فكري حديث ينهل من خمسة حقول معرفية، وهي علم النفس والفلسفة والذكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب والإعلامية، تنص الفرضية الأساسية التي يدافع عنها هذا التيار على أن كل هيكل أو نظام عرفني يكون فاعلا في محيطه عن طريق تشكيله تمثيلات ذهنية عن هذا المحيط تشكيلات تمليه عليه الثقافات والعقائد والرغبات، وتكون هذه التمثيلات ذهنية غير واعية.

من جهة أخرى، لقيت الاستعارة اهتماما كبير من طرف لايكوف وفوكونيي باعتبارهما أبرز المنظرين للغة والعرفان، حيث انتهى بهم الأمر إلى الإقرار بأنّه لا يكتمل فهم اللغة والقدرات اللسانية دون تمثل واضح للمجاز.

2.أنواع الاستعارات العرفنية من منظور لايكوف وفوكونيي :

ذهب جورج لايكوف ومارك جونسون إلى أنّ الاستعارة " لم تعد الاستعارة ظاهرة لغوية ناتجة عن استبدال، أو عدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي، بل هي عملية إدراكية كامنة في الذهن تؤسس أنظمتها التصورية، وتحكم تجربتنا أي أن الاستعارة في جوهرها ذات طبيعة تصورية لا لسانية"[1]، كما اعتمدا على جمل تحتوي عبارات استعارية، وقد استقيا المدوّنة اللغوية من اللغة المستعملة في الخطاب اليومي، ويخص هذا الخطاب الثقافة الغربية الحديثة عامة، ومن هذا المنطلق صنّفا الاستعارة إلى ثلاثة أصناف: بنيوية واتجاهية وأنطولوجية.

1.2 الاستعارة البنيوية structural metaphor:

هي " أن يبنين تصوّر ما إستعاريا عن طريق آخر"[2]، وهي بعبارة أخرى "القبض على مظهر من مظاهر تصوّر ما عن طريق تصوّر آخر"[3]، و" يمكن لتصوّر استعاري معيّن بإتاحته تبئير مظهر واحد لتصوّر معيّن (مثل المظاهر الحربية في الجدال)، أن يمنعنا من تبئير مظاهر أخرى في هذا التصوّر لا تلائم هذه الاستعارة"[4]. فالاستعارة البنيوية تقوم على فهم مجال تصوري ما من خلال مجال تصوري آخر، أي عملية إسقاط لميدان مصدر على ميدان هدف. وتعتمد

الاستعارة من هذا المنظور أكثر ما تعتمد على عمل الذهن والإدراك، لذا يطلق عليها الاستعارة المفهومية أو المفاهيمية[5].

وبذلك لم يطرح لايكوف وجونسون تعريفا كافيّا للاستعارة البنيوية، وإنّما طرح عبارات مثل: "التصور" و"القبض على مظهر " و"عن طريق" و"التبئير" و"إستعاريا". فالاستعارة التصورية مجالها التصوّرية لا الألفاظ أو التراكيب، ولهذا فإنّ لايكوف يفصل في مقاربته بين التصوّرات الاستعارية والعبارات الاستعارية، فالتصورات مجرّدة مجالها الذهن/الفكر، والعبارات مجالها الألفاظ وهي وسيلة تواصل تتيح إظهار التصورات وفهمها وتبادلها، أمّا فوكوني فأطلق مصطلح الفضاء الذهني على البنى الموجودة في الذهن، وهي بنى مجردة تحتوي على عناصر وعلى علاقات تربط بين هذه العناصر، وتنشأ الفضاءات الذهنية عن طريق الخطاطات التصوّرية والمناويل العرفانية المؤمثلة والسيناريوهات والأدوار النموذجية الشائعة، كما تنشأ من قرائن إمّا نحوية وإمّا تداولية، ويعتبر فوكوني أنّ البنى الذّهنية أساس تصوّراتنا وتنظيمنا لفكرنا وعملنا[6]، وهو شأن التصورات لدى لايكوف، فالمفهوم الأساسي في مقاربة لايكوف هو التصوّر ومجال التصوّر، وفي مقاربة فوكونيي هو الفضاء الذهني، والعلاقة بين المفهومين في الظاهر علاقة احتواء، إذ يحتوي الفضاء الذهني التصوّر، ويمكن أن نقول أيضا إنّها علاقة تماثل تصل إلى حدّ الترادف، فمن الأمثلة التي قدّمها لايكوف وجونسون ما يلي:

- هذه العملية تجعلك تربح ساعات وساعات.
- ليس لديّ وقت أمنحه إيّاك.
- كلّفني إصلاح هذه العجلة ساعة كاملة.
- إنّ وقته ليس مكله.

جاء الحديث في هذه الأمثلة عن الزمن بألفاظ تلائم المال، ولذا اعتبر المؤلفان أنّ الشيء المولّد لهذه العبارات الاستعارية هو التصوّر الاستعاري "الزمن مال"، وهو نتاج عملية بنينة التصوّر "الزمن" عن طريق التصوّر "المال"، فمفهوم "التصوّر الاستعاري" هو الحاصل من عملية البنينة الاستعارية، وإذا تمعنّا في التصوّر المبنين عليه وهو " المال" وجدناه لا يدل على شيء مخصوص (دينار، ورقة مالية، صكّ، سيارة...) لأنّ الغرض من الاستعارة ليس نوع المال في حدّ ذاته بل ما يتعلق به من الأعمال (ادّخار، إنفاق، ضياع، اقتصاد...) والقيم (ثمين،

كاف، قليل....) والعلاقات (محتاج، مدين، مدّخر، مانح...) وهذا الذّي عبّرنا عنه بالأعمال والقيم والعلاقات إنّما يمثّل العناصر والروابط المكوّنة لتصوّر "المال" والموجودة جميعها في الذهن، وإذن فالتصوّر فضاء ذهني بالمعنى الذّي قدّمه فوكوني، وهو أكثر دقّة لأنّ استعارة الفضاء في حدّ ذاتها توحي بشبكة من العناصر ومن العلاقات التي تنظمها في تصوّر ما.

كما استخرج لايكوف وجونسون تصوّرات مبنينة تنطلق من مبدأ أن الاستعارة البنيوية عملية ذهنية يبنين فيها تصوّر ما استعاريا بواسطة تصوّر آخر:

* تصور الجدال حرب

- لا يمكن أن تدافع على ادّعاءاتك.
- لقد هاجم كلّ نقط القوّة في استدلالي.
- لم أنتصر عليه يوما في جدالي.
- إذا اتّخذت هذه الاستراتجية ستباد.

* تصوّر النظريات والاستدلالات بنايات.

- هل هذا هو أساس نظريتك؟
- تحتاج النظرية إلى مرتكزات إضافية.
- هذه الحجة متصدّعة

* تصوّر الحياة وعاء

- حياتي زاخرة بالأحداث
- هذا الإنسان يشكو من فراغ في حياته.
- كانت حياته مليئة بالأسى.

2.2 الاستعارة الاتجاهية orientational metaphor .

هي مفهوم استعاري من نوع آخر على حدّ تعبير لايكوف وجونسون، فهي، حسبهما "تعطي للتصوّرات اتجاها فضائيا"، من نوع أعلى-أسفل، داخل، أمام-وراء، فوق-تحت، عميق-سطحي، مركزي-هامشي، ولذلك فإنّ الكثير من العبارات المستعملة في الخطاب اليومي قائم على تصوّرات موجّهة مختلفة، مثل التصورات التالية:

* تصور السعادة فوق.

- إنّني في قمّة السعادة.
- لقد رفع من معنوياتي.

* تصوّر الشقاء تحت

- إنّه في الحضيض هذه الأيام
- لقد سقطت في ما لا تحمد عقباه.
- إنّه يغوص في الشقاء.

* تصوّر الأكثر فوق.

- لم يتوقّف عدد الكتب المطبوعة كلّ سنة عن الارتفاع.
- ارتفعت عائداتي في السّنة الفارطة.

* تصوّر الأقل تحت.

-لقد نزلت أرباحه هذه السنة.
-إنّ عدد الأخطاء التي يرتكبها منخفض جداً.

3.2 الاستعارة الأنطولوجية ontological metaphor .

هي استعارة تقوم على أساس "فهم تجاربنا عن طريق الأشياء والمواد(...) وحين نتمكن من تعيين تجاربنا باعتبارها كيانات أو موادّ فإنّه يصبح بوسعنا الإحالة عليها ومقولتها وتجميعها وتكميمها، وبهذا نعتبرها أشياء تنتمي إلى منطقنا"، وهذا النوع من الاستعارات الأنطولوجية سمّاه لايكوف وجونسون استعارات الكيان (ومنها التشخيص personification وهو إسناد ما هو بشري إلى غير البشري). والمادة، وينطبق هذا الأمر على ما يوجد في تجربتنا من أحداث وأنشطة وأفكار وأحاسيس، وعلى الأشياء التي لا حدود واضحة لها، فتمثل الاستعارات الدّالة عليها النوع الثاني من الاستعارة الأنطولوجية، وهي استعارات الوعاء، ومن الأمثلة على النوع الأوّل استعارة تصوّر الكيان للتعبير عن تصوّر التضخّم، ويظهر ذلك في عبارات كالتالي:

* تصوّر التضخم كيان

- إنّ التضخم يخفض من مستوى عيشنا.
- يجب محاربة التضخّم.
- يلتهم التضخّم جزءا كبيرا من عائداتنا.

- شراء قطعة أرض هو الطريقة الوحيدة للاحتماء من التضخم.

ومن الأمثلة على النوع الثاني استعارة الوعاء للأنشطة، واستعارة الوعاء للحالات:

* تصوّر النشاط وعاء

- هل ستكون في السياق يوم الأحد؟

- وجدت نفسي بدون قوة في وسط السياق

- في غسل النوافذ أصبّ ماء كثيرا على المارة.

- كيف استقلت من غسل النوافذ؟

* تصوّر الحالة وعاء

- إنّه في سعادة لا توصف.

- إنّه يعيش في قلق دائم.

- إنّه يقترب شيئا فشيئا من الحالة السوية.

إذا تأملنا في هذا التصنيف الثلاثي لوجدناه يدخل تحت نوع واحد من الاستعارة، وهي الاستعارة البنيوية، فما سمّاه لايكوف وجونسون استعارة اتجاهية هو في حدّ ذاته استعارة أنطولوجية، لأنّ أمثلة التصوّرات الاستعارية الاتجاهية التي قدّماها مثل (السعادة أعلى والشقاء تحت، الأكثر فوق والأقل تحت، الصحة والحياة فوق والمرض والموت تحت، الوعي فوق واللاوعي تحت، الهيمنة والقوّة فوق، والخضوع تحت، النخبة فوق والأغلبية تحت، الفضيلة فوق والرذيلة تحت) قائمة على معاملة المجرّد المحسوس الذي له فوق وتحت، لكن إذا تأملنا في العبارات الاستعارية التي تتضمن هذه التصورات الاستعارية الاتجاهية مثل" إنّني في قمّة السعادة"، "التفكير فيها يرمي بي في هاوية"، "لقد هوى من المرض"، وجدنا أنه وقعت استعارة تصوّر الجبل للسعادة في المثال الأوّل، والهاوية للشقاء في الثاني والمسير للحياة في الثالث، فهي إذن استعارات قامت على بنينة تصوّر مجرّد عن طريق تصوّر آخر مدرك بالحواس وله اتجاهان أحدهما أعلى والآخر أسفل[7]، ولذا نقول إنّها استعارات أنطولوجية بنيوية بما أنّها تبنين تصوّرا ما بواسطة تصوّر آخر سواء كان شخصا أو وعاء أو شيئا ما يعيّن ويحال عليه ويكمّم، فالاستعارة بصفة عامة عملية ذهنية تبنين تصوّرا من خلال تصوّر آخر، فالمفهوم الأساسي المتعلق بالاستعارة عند لايكوف وجونسون هو البنية، وهو مفهوم أساسي

أيضا في مقاربة فوكوني لكنّه لا يذكره بلفظة، وإنّما يعبّر عنه بمفهوم التوافق بين الفضاءات الذهنية[8]، وطوّره فيما بعد إلى مفهوم مأخوذ من مجال الفيزياء وهو الإسقاط.

3. الأبعاد التجريبية في الاستعارة:

من خلال تتبعنا للاستعارة عند لايكوف وفوكوني، يمكن أن نستخلص فيها ثلاثة أبعاد تجريبية هي:

1.3 الأساس الفيزيائي:

يظهر الأساس الفيزيائي في الاستعارات من خلال ما سمّاه لايكوف وجونسون بالاستعارات الاتجاهية الخاصة، فالاتجاهات فوق وتحت وأمام ووراء ومركز وهامش تسم وضعيات عناصر الكون الملموسة والمرئيّة، وقد قدّم لايكوف وجونسون أمثلة عديدة على ذلك نذكر من بينها:

-"تصوّر الأكثر فوق والأقل تحت" يقوم على مرتكزات فيزيائية، ف" إذا أضفنا أشياء معيّنة إلى مجموعة أشياء أخرى، أو صببنا سائلا إضافيّا في إناء، فإنّ علو مجموعة الأشياء يزيد، ومستوى السائل يرتفع"[9]

ولذلك نقول:

- إنّ عدد الأخطاء التي يرتكبها منخفض جدًا

- ارتفعت عائداتي في السنة الفارطة.

"تصوّر الوعي فوق واللاوعي تحت"، مرتكزاته الفيزيائية هي أن الإنسان ينام وأغلب الثّديات الأخرى في وضعية تمدد، ولا يمكن أن يستوي قائما إلا عندما يفيق، فنقول:

- سقط في غيبوبة عميقة.

- انهض من غفلتك

2.3 التجسيد embodiment :

ونعني بالتجسّد تجسّد الفكر، وهو يقصد به تفاعل الجسد بما هو نظام إدراكي وجهاز حركي مع عناصر الكون الخارجي، فينعكس هذا التفاعل في تصوّر الأشياء المحسوسة والأمور المجرّدة، ولهذا فإنّنا نسعى إلى فهم بعض تجاربنا باعتبارها موادّ وكيانات، ونحن نتعامل معها ونعاجلها ما لو كانت بالفعل كذلك، ومن أبرز مظاهر التجسّد المنعكسة على

اللغة حسب لايكوف وجونسون ما عبّر عنه بالاستعارات الأنطولوجية، ومنها استعارات الكيان و المادة واستعارات الوعاء والتشخيص.

فاستعارات الكيان والمادة تتعلق بالأمور المجرّدة مثل القيم والأحاسيس والأفكار والمفاهيم والأحداث والأنشطة، ممّا يؤدّي إلى معاملتها معاملة الأشياء المحسوسة وفهمها على ذلك النحو إذ " إنّ مجرّد اعتبارنا شيئا غير فيزيائي كيانا أو مادّة لا يسمح لنا بأن نفهم عنه شيئا مهما"[10]، ففي الأمثلة التالية:

-كلامك جميل.

- إنّنا نعمل من أجل السلام.

- يقلقني التضخّم كثيراً.

- ثقل مسؤولياته سبب انهياره.

- أفكارك هشّة.

- ما أحلى النزهة

- لا أتمكن من مسايرة إيقاع الحياة الحديثة.

- فاح خبرك في القرية.

فالمجرّدات وقت معاملتها كما لو كانت أشياء ندركها بأجسادنا عم طريق حاستي البصر واللمس خاصة فحاستي الذوق والسمع فحاسة الشمّ بدرجة أقل.

وهذا النوع من الاستعارات يلبي حاجات الإنسان لفهم تجاربه وتبليغها كالإحالة والتكميم وتعيين الأسباب وتحديد الغايات، وهي منخرطة حسب لايكوف وجونسون في تعابيرنا اليومية إلى حد أنّنا لا ننتبه إلى أنها تعابير استعارية.

كما أنّ للتجسيد مظهر آخر في التعامل مع العالم، فالإنسان كائن فيزيائي يوجد في الكون باعتباره جسما، ولذا فهو محدود بمساحة جلده ومعزول عن باقي العالم بعبارة لايكوف وجونسون، وكون الواحد منّا مساحة يجعلنا ننظر إلى العالم على أنه خارج هذا الجسم أو من حوله، فالإنسان كما وصفه لايكوف وجونسون وعاء له داخل وخارج، وهو يسقط هذا التصوّر على أشياء أخرى محدودة بمساحات فيجعل لها داخل وخارجا شأن الكتاب والقلم واليد والرأس والأذن، فنقول:

- شحنت قلبي غيظا.
- انساب من فمه كلام جميل.
- العلم في الكتب.

كما يسقط على الظواهر التي لا مساحة ظاهرة لها ويفرضه عليها فرضا مثل النظرية والكلام والحرب والسعادة والعمل والعطلة والحرج والمشكلة...فنقول مثلا:

- لم يأت عمرو بشيء من خارج النظرية الأرسطية
- في كلامك طلاوة.
- أنا العمل الآن وسأدخل غدا في عطلة.
- لا تقحمني في مشاكلك ودعني خارج كلّ حرج.

فهذه الأمثلة تبيّن أن العبارات التي تحتوي على مدلولات مجرّدة لا بدّ فيها من استعمال الاستعارة، ويصعب الانتباه فيها إلى وجود الاستعارات، ممّا يؤكد البعد الآلي اللاواعي في التعامل معها، وأنها منقوشة في سلوكنا وتواصنا العاديين.

3.3 الخلفيات الثقافية والاجتماعية:

انطلاقا من معطيات ثقافية واجتماعية للشعوب تتأسس عديد التصورات الاستعارية، فننظر إلى بعض الأمور المجرّدة التي تهمّنا في تجاربنا اليومية من خلال ما تنتجه من الأشياء وما نعيش به من العادات وعلى نحوه من المعاملات، ولهذا تتعدّد العبارات الاستعارية القائمة على تصوّر الزّمن مال:

- لقد أخذ منّي وقتا كبيرا.
- إنّ وقته لبس ملكه ليس ملكه.
- عليك أن توفّر وقتلك.
- أشكرك على الوقت الذي منحني إيّاه.

وعلى تصوّر الذّهن آله:

- عقلي غير قادر على الاشتغال الآن.
- اشتغلنا في هذا المشكل طول اليوم والآن نفذت طاقتنا.
- لقد صدئ عقله.

وعلى تصوّر الحبّ قوّة فيزيائية مغناطيسية كهربائية:

- كنت أحسّ بمرور التيار بيننا.
- إنها جذّابة.
- كان مشحونا بينهما.

فالتصورات الاستعارية لها صلة وثيقة بالثقافة التي تنشأ فيها، وبما أنّ الثقافات تختلف من مجتمع لآخر فإنّ التصورات الاستعارية لا يمكن أن تكون كونيّا.ولذلك أشار لايكوف وجونسون إلى "الثقافات الفرعية" [11]. كما أن التجربة هي ثلاثة أنواع تمثل أساس التصورات الاستعارية: أجسادنا، تفاعلنا مع محيطنا الفيزيائي، وتفاعلنا مع الآخر (الدين، المجتمع...) بالإضافة إلى محركات لا شعورية دفينة فينا.

4.آليات اشتغال الاستعارة: تشتغل الاستعارة بمنظور لايكوف وفوكوني وفق آليتين:

1.4 النسقية systematicity :

تعني النسقية الانسجام الحاصل بين الاستعارات، وهي واقعة إمّا بين العبارات الاستعارية ضمن نفس التصور الاستعاري وتسمى نسقية داخلية internal systematicity ، وإمّا بين التصورات الاستعارية وتسمى نسقية خارجية external systematicity ، فالنسقية صفة تسم التصوّر الاستعاري والعبارات الدالة عليه.

وتنطبق النسقية الداخلية والخارجية على الاستعارات البنيوية وعلى الاستعارات الاتجاهية. ف " الزمن مال" استعارة بنيوية تنسجم مع التصوّر الاستعاري "الزمن مورد محدود" والتصور الاستعاري "الزمن بضاعة ثمينة" ولكل تصور منها عبارات استعارية متداولة تنحدر منه، مثال:

الزمن مال:

- كلفني هذا العمل وقتا طويلا.
- أحسن استغلال وقتك.
- خصّص الوقت الكافي للراحة.

الزمن مورد محدود:

- تمتّع بأيّام الشباب ولا تهملها.

- نعمت بلحظات من السعادة.

الزمن بضاعة ثمينة:

- لقد سرقت الحرب أجمل أيّامهم

- الوقت من ذهب.

فالفواصل بين هذه التصورات الاستعارية الثلاثة لا تبدو واضحة، حتّى إنّ العبارات المستعملة في أي تصوّر منها يمكن تستعمل للتعبير عن التصوّرين الآخرين، والأمر ذاته ينطبق على التصورات الاستعارية الاتجاهية، مثل: "القوّة فوق" و"الصحّة فوق" و "السعادة فوق".

وتتفق القوة والصحة والسعادة في كونها أمورا إيجابية، ولذلك يمكننا أن نجمعها في التصوّر الاستعاري "الايجابي فوق"، ولهذا نبّه لايكوف وجونسون إلى سمتين بارزتين في النسقية ترتبطان بالعلاقة بين التصورات الاستعارية المنسجمة، وهما علاقة التخصيص وعلاقة الاستلزام، فعلاقة التخصيص تشيه علاقة التفريع المقولي من حيث وجود عنصر يمثل المقولة، فاعتبر لايكوف وجونسون التصور الاستعاري " الزمن مال" التصور الاستعاري الأكثر تحديدا للنسق ككل (الزمن مال والزمن مورد محدود والزمن بضاعة ثمينة)، فهذه عملية توسيع لفكرة المقولة على ظاهرة الاستعارة، ومعاملة التصورات الاستعارية على أنّها مقولات فرعية متعالقة، وعلاقة الاستلزام نتيجة لهذا التفرع، فتصور الزمن مال يستلزم تصوّر الزمن مورد محدود ويستلزم تصوّر الزمن بضاعة ثمينة، وتصور القوة فوق يستلزم تصور الصحة فوق الذي يستلزم بدوره تصور السعادة فوق.

أمّا النسقية الداخلية فلا ترى تقيدها بما يكن أن يكون الاستعارة الأكثر تحديدا للنسق ولا نرى بينها علاقات استلزام سواء في الاستعارات البنيوية أو في الاستعارات الاتّجاهية، ففي قولنا:

- لا يمكن أن تدافع عن ادّعاءاتك.

- لقد هاجم كلّ نقط القوّة في استدلالي.

- أصابت انتقاداته الهدف.

- لقد هدمت حجّته.

لا يمكن أن تعتبر واحدا من هذه الأمثلة أكثر تحديدا، بل نقول إنها متناسقة لأنها جميعا تؤدي التصوّر الاستعاري "الجدل حرب"، ولا يمكن أن نعتبر أن بعضا منها يستلزم بعضا، والملاحظة ذاتها تنطبق على الاستعارات الاتجاهية مثل قولنا:

- إنّني في قمّة السعادة.
- لقد رفع من معنوياتي.
- سأطير فرحا.

فلا استلزام بين الاستعارات ولا تخصيص، وإنّما التصور الاستعاري "السعادة فوق" هو الذي يقتضي هذه العبارات ويجعلها منسجمة داخل نسق تصوري.

إنّ أهم ما يميّز استعارات الخطاب اليومي هو النسقية بنوعيها الداخلي والخارجي، فهي التي تخرج ما يسمى بالعبارات الجاهزة من دائرتها، ف" رأس الجيل" و"عين الإبرة" و"ذارع الكرسي" و"ساق الطاولة" عبارات استعارية تختزل في التصورات الاستعارية الجبل شخص والإبرة شخص والكرسي شخص والطاولة شخص، ولكنّها استعارات لا تندرج ضمن نسق، قلا نقول عين الجبل أو رجله أو ظهره، ونفس الشيء بالنسبة إلى الإبرة والكرسي والطاولة، فهذه عبارات استعارية مفردة لا تؤسس أنساقا ولا تكون منسجمة مع عبارات أخرى.

وترتبط النسقية ارتباطا وثيقا بخاصية من خصائص الاستعارة وهي البنينة الجزئية

2.4 البنينة الجزئية partial structuring .

تبحث البنينة عن كيفية اشتغال الاستعارة، وقد اعتمد لايكوف وجونسون عن هذا المصطلح بكثافة في مؤلفهما "الاستعارات التي نحيا بها"، فورد في عبارات من قبيل "أن يبينين تصوّرا آخر"، و" التصورات الاستعارية طرق تبنين جزئيا تجربة ما من خلال تجربة أخرى"، فالبنينة تكون بين تصوّرين مختلفين أو بين تجربيتين مختلفتين، وحريّ بنا أن نتساءل عمّا إذا كان التصوّر يعني التجربة، أو نتساءل على الأقل عن العلاقة بين التصوّر والتجربة؟ ما المقصود ببنية التصوّر وببنية التجربة؟ ما معنى أن تكون التجربة جزئية؟ ما هي شروطها، ما هي الأسباب التي تجعل البنينة تعتمد على تصوّر دون آخر أو تجربة دون أخرى؟ أي لماذا نستعمل في كلامنا اليومي استعارة "الجدال حرب" ولا نستعمل استعارة "الجدال مال" أو

"الجدال رحلة" وهل إنّ مبدأ البنينة الجزئية لا يصحّ إلاّ على ما تواضع عليه الناس من الاستعارات، أم هي شاملة لضربي الاستعارة العادي والأدبي؟

فهذا المفهوم من الواضح أنّه مشتق من تصوّر البنينة، فالقول ببنينة التصوّر أو بنينة التجربة يستوجب النظر إلى أبعاد تجريدية من مستوى عال[12]، ولذلك عالجه لايكوف وفوكونيي بالاعتماد على جهاز مفهومي مستعار من مجال الرياضيات، مثل الخطاطة والخطاطة-الصورة وبنية الخطاطة-الصورة، والإسقاط والطوبولوجيا والتوافق...

1.2.4 **المفاهيم الأساسية:**

أ.مفهوم الإسقاط mapping :

مصطلح الإسقاط مستعار من مجال الرياضيات، ولكن طريقة اعتماده والمجالات التي يوظّف فيها للدرس تجاوزت مجال الرياضيات، فصارت الإسقاطات "جزءا من مؤسسة عرفانية كبرى تأخذ بعين الاعتبار الأنماط السوسيولوجية والقدرة على التعلم والتطوّر السيكولوجي والإسقاطات العصيبة"[13]، وقد عدد فوكونيي ثلاثة ضروب من الإسقاط، وهي:

* **الإسقاط الجزئي prjection mapping :** وهو إسقاط جزء من بنية مجال ما على بنية مجال آخر، وهذا الضرب يوافق الإسقاط الاستعماري كما تحدّث عنه رادي لايكوف وجونسون وتورنر وسويتسر...

* **إسقاط الوظيفة التداولية pagmatic function mapping :** وقد درسه نانبرغ وفوكونيي، وهي تجري على مجالين يعيّنان مقولتين من الأشياء، فيسقط أحدهما على الآخر عبر وظيفة تداولية.

* **إسقاط الخطاطة schama mapping :** وهو يقوم على إسقاط خطاطة أو إطار أو منوال عرفاني مؤمثل على مجال ما لبنينة وضعية ما في سياق ما.

وبيّن فوكوني أنّ هذه الضروب الثلاثة تبني الفضاءات الذهنية وتربط بينها، ولذلك اهتم بالإسقاط بين البنى الذهنية.

ب.مفهوم الخطاطة shema :

تستعمل الخطاطة باعتبارها بنية خيالية لتعريف المفاهيم والأفكار، وهي ترادف مفهوم الإطار عند شارل فيلمور، ولتوضيح هذا المفهوم قدّم فيلمور مثال تصوّر " الثلاثاء"،

فهذا التصور يعني اليوم الثاني من أيام الأسبوع، ولكن ليس في العالم الخارجي شيء فيزيائي يسمّى أسبوعا، إنّه تصوّر اخترعته بعض الثقافات وتعني به وحدة لقيس الزمان مكوّنة من سبعة أيّام متتالية، وفي بعض الثقافات يختلف عدد أيام الأسبوع، ولدى قبائل البالي البدائية أشكال عديدة من الأسابيع مختلفة الطول.

ويمثل هذا المثال مظهر من مظاهر ثقافية كثيرة في العالم، ولذلك يَعتبر علم الأنطولوجيا المعاصر أنّ الواقعية الثقافية لا تكمن في الظواهر الاجتماعية، وإنّما في الخطاطات الثقافية المخصوصة التي تفرضها المجموعات البشرية لاستيعاب المفاهيم والتعامل وفقها، فتصوّر "الثلاثاء" لا وجود له ولا معنى إلاّ في إطار تصوّر الأسبوع.

وقد تجاوز مفهوم الخطاطة حدّ التنظيم الثقافي والتواضع الاجتماعي ليكون مفهوما أساسيا تشتغل به مختلف العلوم العرفانية، ووقع التركيز على مفهوم الخطاطة –الصورة، وهو مفهوم اعتمده لانجبكير خاصة في نظرية النحو العرفاني، وهو "تمثيلات مبسّطة للتجارب الفيزيائية المألوفة تستعمل لتصنيف ظواهر فيزيائية وذهنية أكثر تعقيدا، ومن أمثلتها الأوعية والخطوط والدوائر واللوالب والمساحات، والدفع والخلخلة"[14].

فمفهوم الخطاطة-الصورة يتأسس على التجربة الفيزيائية المألوفة، إنه تمثيلية تعكس بنية تجربة قريبة منا من حيث إدراكنا إيّاها بالحواس وخاصة حاسة البصر، ومن حيث اعتيادنا عليها لأنّنا نعيشها ونجرّبها باعتبار أنّ لنا أجسادا ووظائف حركية، فهذا المألوف المدرك يصبح وسيلة لفهم غير مألوف وغير المدرك بالحواس وممارسته، فالخطاطات-الصورة بنى مجرّدة تيسّر تواصلنا مع الأمور المجردة في حياتنا مثل التصورات والأفكار والقيم والمشاعر والأنشطة والأحداث، ولنا في تجاربنا اليومية كثرة من الاستعارات المؤسسة على الخطاطات-الصور مثل خطاطة الوعاء، وخطاطة المصدر-المسار-الهدف، وخطاطة الجزء-الكل، وخطاطة الربط، وخطاطة فوق- تحت، وخطاطة أمام-وراء، وخطاطة النسق الخطي، وخطاطة مستقيم-مقوّس، وخطاطة قريب بعيد، وخطاطة الاتصال، وخطاطة الحمل، وخطاطة التكرار وخطاطة التحاور وخطاة الموازنة، ولكل واحة من هذه الخطاطات أساس فيزيائي وأساس منطقي وعناصر مكوّنة ونوضح هذا الأمر بثلاثة أمثلة مما ذكر لايكوف:

***خطاطة الوعاء:**

أساس خطاطة الوعاء فيزيائي هو التجربة الجسدية، فأجسادنا هي إمّا أوعية أو موجودة داخل أوعية، وعناصر الوعاء هي الداخل والخارج والمحيط، وأمّا الأساس المنطقي فهو حسب لايكوف نتيجة لتمثّل الخطاطات-الصور باعتبارها جشطلتات أي كلاّ مبنينا لا أجزاء مجمّعة، والمنطق الأساسي الذّي يقوم عليه خطاطة الوعاء هو التالي:

كلّ شيء هو إمّا داخل الوعاء أو خارجه، فهو إمّا ص أو لا ص، فإذا كان الوعاء أ في الوعاء ب، و س في أ فإنّ س في ب.

يتأتّى هذا الأساس المنطقي من كون خطاطة الوعاء شكلا ذا معنى بالنسبة إلى البشر باعتبار أن لهم أجسادا، وهو الذي يولّد عمليات عرفانية أساسية مثل التبئير والخلخلة.

***خطاطة الجزء-الكل:**

لخطاطة الجزء-الكل أساس فيزيائي يتمثل في أنّ لنا أجساد مكوّنة من أجزاء يمكن تحريكها، ونحن نتفاعل مع العالم الخارجي باعتبارنا كلاّ له أجزاء، وتتكون هذه الخطاطة من عناصر ثلاثة: الكلّ والأجزاء والتمظهر، وهي عناصر تدرك بالبصر، أمّا المنطق الأساسي فيها فهو التالي:

إذا كان أ جزءا من ب فإنّ ب ليس جزءا من أ، إذ لا يمكن أن تكون العلاقة عكسية، وإذا كانت الأجزاء مجتمعة في تمظهر ما فلا بدّ أن يكون كلّ، لهذا الاعتبار استتباعات، فإذا تهدّمت الأجزاء تهدّم الكلّ، وإذا كان الكلّ موجودا في مكان ص فا بدّ أن توجد الأجزاء في نفس المكان ص، ولكن رغم أنّ لايكوف أقرّ في هذه الخطاطة بوجود مبدأ التجاور كما تحدث عنه الفكر البلاغي الكلاسيكي، فإنّه اعتبره خاصيّة غير ضرورية بالنسبة إلى الخطاطة.

ومن التصوّرات القائمة على خطاطة الجزء-الكلّ تصوّر الأسرة، وهو تعبير عن كلّ يتألف من أجزاء هي الزوجان على الأقل والأطفال، والتفريق بين العنصرين الأساسيين، وهما الزوجان، ينجرّ عنه زوال الكلّ أي زوال الأسرة.

***خطاطة المصدر-المسار-الهدف:**

يرتبط الأساس الفيزيائي في هذه الخطاطة بالجسد والحركة خاصة، فعندما نتحرك في المكان ننطلق من نقطة بداية ونصل إلى نقطة نهاية. ونمرّ بين هذه وتلك بنقاط متتالية تشكّل خطاّ، وعندما ننظر إلى شيء يتحرك فإنه بإمكاننا أن نرسم في أذهاننا المسار الذي

يقطعه، وبعض الأشياء يتحرك ويترك أثر مساره كآثار الأقدام عندما يسير الإنسان، آثار العجلات عندما تشير السيارة، آثار الدخان عندما يمر القطار. ولهذه الخطاطة صبغة طوبولوجية حسب لايكوف، ذلك أنّه بالإمكان توسيع المسار أو تضييقه أو تغيير شكله ويبقى شكله على ذلك مسارا له الشكل التالي عموما :

*..... *.....*

المصدر المسار الهدف

أمّا أساس هذه الخطاطة المنطقي فقائم على الاستدلالات التالية:

إذا انتقلت من موضع انطلاق أ إلى هدف ب عبر مسار، فإنّك عبرت بالضرورة جميع النقاط الموجودة في ذلك المسار، وإذن فإذا انتقلت من أ إلى ب ومن ب إلى ج، فإنّك انتقلت من أ إلى ج.

ومن الاستعارات المعتمدة على خطاطة المصدر-المسار-الهدف:

- الحياة مسار، مثال: تجاوز زيد فترة المراهقة إذ بلغ عتبة العشرين.
- الدراسة مسار، مثال: لم يتوقف زيد عن الدراسة.
- العمل مسار، مثال: تنقل زيد بين وظائف متعدّدة

تدل هذه الخطاطات-الصوّر حسب لايكوف على الادّعاء القائل بأنّ العقل المجرّد مرتبط أساسا بأمرين: التجربة الجسدية بما أنّ لنا حواس ووظائف وقدرات حركية، والإسقاطات الاستعارية، من المجالات المحسوسة إلى المجالات المجرّدة، وهي دليل أيضا على الادّعاء القائل بأنّ ظاهرة الاستعارة إسقاط تصوّرين بالأساس نعبّر عنه باللغة، وليست هي مسألة لفظية أو تركيبية كما جاء في الفكر البلاغي القديم[15]، وعلى الرغم من أنّ الاستعارة جامعة بين الإسقاط التصوّري والعبارة التي تخرجه إلى حيّز التواصل، فإنّها تستعمل في المقاربات العرفانية للإحالة على العملية التصوّرية العرفانية دون المنجز اللغوي في حدّ ذاته.

.خاتمة

عرضنا في هذه الدراسة لمقاربتي لايكوف وفوكونيي العرفانيتين، وتبيّنّا أنّ أهميّتهما تكمن في التصوّر الجديد الذيّ قدّمتاه فيما يتعلق بالظاهرة اللغوية، من خلال الاستعارة،

وعلى الرغم من اختلاف المقاربتين في بعض المفاهيم، فإنّنا لاحظنا تقاربا شديدا بينهما على مستوى تصوّر الظاهرة الاستعارية، فهذه الظاهرة وإن كانت لغوية ، فهي ذهنية عرفانية تتأثر بالسياق والثقافة والإدراك، بل إنّها تتولّد منها.

وقد فسّر لايكوف وفوكونيي كيفية اشتغال الاستعارة في الذهن، بحيث استطاعا أن يكشفا عن أهميّة هاتين الظاهرتين في التعبير عن الوجود والتواصل معه، وأن يبينا الكيفية التي بها تنشآن في الخطاب وتفهمان، وتوصلا إلى ذلك من خلال استخراج خطاطات ومناويل اعتبراها بنى عصبية، أي بنى موجودة في الدماغ، وهي التي تتحكم في تعابيرنا وتمثلنا لتجاربنا وللعالم من حولنا، ومنها الخطاطة-الصورة، الخطاطة الاستقرائية، المزج،

6.الهوامش:

[1]- عطية سليمان أحمد، **الاستعارة القرآنية في ضوء نظرية العرفانية**، المكتبة الأكاديمية للحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2013، ص59.

[2]- جورج لايكوف ومارك جونسون، **الاستعارات التي نحيا بها**، ترجمة: عبد الحميد جحفة، ط2، دار توبقال للنشر، 2009، ص33.

[3]- المرجع نفسه، ص29.

[4]-- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- عز الدين عماري، الربيع بوجلال، **مفاهيم لسانية عرفانية**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، المجلد3، عدد خاص (2019)، ص66.

[6]- Fauconnier, (Gilles), **Espaces mentaux**, Les Editions de Minuit, Paris, 1984, p11.

[7]- ينظر: مصمودي وسيلة نجاح، **المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي**، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2018.، ص120.

[8]- ينظر: المرجع نفسه، ص121.

[9]- جورج لايكوف ومارك جونسون، **الاستعارات التي نحيا بها**، ص35.

[10]- المرجع نفسه ، ص47

[11]- ينظر: مصمودي وسيلة نجاح، **المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي**، ص136.

[12] - ينظر: المرجع نفسه، ص141.

[13] - Fouconnier, (Gilles) , **Mapping in Thought and Language**, Cambridge University Press, 1997, p2.

[14] - Werth, (Paul), **Text Worlds : Representinng Conceptual Space in Discourse** , Longman, 1999, p66.

[15]- ينظر: مصمودي وسيلة نجاح، **المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي**، ص146.

7. قائمة المراجع:

1- جورج لايكوف ومارك جونسون، **الاستعارات التي نحيا بها**، ترجمة: عبد الحميد جحفة، ط2، دار توبقال للنشر، 2009.

2- عطية سليمان أحمد، **الاستعارة القرآنية في ضوء نظرية العرفانية**، المكتبة الأكاديمية للحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2013.

3- عز الدين عماري، الربيع بوجلال، **مفاهيم لسانية عرفانية**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، المجلد3، عدد خاص (2019).

3- مصمودي وسيلة نجاح، **المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي**، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2018.

3-Fauconnier, (Gilles), **Espaces mentaux**, Les Editions de Minuit, Paris, 1984

4- Fouconnier, (Gilles) , **Mapping in Thought and Language**, Cambridge University Press, 1997.

5- Werth, (Paul), **Text Worlds : Representinng Conceptual Space in Discourse** , Longman, 1999,